# مجزرة «بيت حانون» المبيّتة:
# أول غيوم اليأس الصهيونية

القدس/مها عبد الهادي

«الحادثة الأليمة في بيت حانون بقطاع غزة تجر النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي مرة أخرى إلى مفترق طرق خطير من ناحية تكتيكية واستراتيجية على حد سواء».

بهذه العبارات وصف المعلق العسكري الصهيوني في صحيفة «هآرتس» زئيف شيف نتائج المجزرة الرهيبة التي ارتكبت في بلدة بيت حانون على يد عناصر جيشه وحكومته. وأضاف شيف: من ناحية عسكرية ينبغي الاعتراف بأن الجيش الإسرائيلي فشل عملياً في حربه على صواريخ القسام.

هذه هي حقيقة المشهد. فما زرعه الجيش الصهيوني من دمار ورعب في بيت حانون وما أبقاه من وراء العملية: ثلاثة وخمسون شهيداً فلسطينياً ومئات الجرحى والمنازل المهدمة والبيارات المحروقة وتخريب في أجهزة إيصال المياه للمواطنين، كل ذلك من أجل هدف لم يتحقق، فإطلاق صواريخ القسام استمر.

## مجزرة مبيتة

كان الواقع الصهيوني الحائر من حجم التطورات وتغير الوقائع حوله محلياً واقليمياً ينبئ بما حصل في غزة وما سيحصل لاحقاً في مناطق أخرى. فهذه المذبحة الأبشع التي اقترفتها قوات الاحتلال الصهيونية في بيت حانون لم تكن سوى التطبيق الإرهابي للحظة التي أرادها رئيس الوزراء الصهيوني إيهود أولمرت نتيجة الضيق من أفعال المقاومة الفلسطينية وتطورها وتبوئها المسرح السياسي في فلسطين. ففي العشرين من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٦ كان أولمرت قد صرح: «إن الفلسطينيين يقتربون من «لحظة الحقيقة» في علاقاتهم مع إسرائيل».. وقال للصحفيين على متن الطائرة التي أقلته آنذاك إلى الدولة العبرية بعد زيارة استمرت ثلاثة أيام لموسكو «إن لحظة الحقيقة للفلسطينيين تقترب».. وأضاف أولمرت موضحاً ماهية الحقيقة التي يريدها: «إما أن يقوم أبو مازن بخطوات شجاعة، (أي باتجاه التصعيد مع حماس واجبارها على تلبية الشروط الصهيونية والأمريكية)، وإما نفقد جميعاً الأمل المتبقي»، أي إذا لم يفعل الرئيس الفلسطيني ذلك فعلى الفلسطينيين أن يتلقوا إذن النتائج. وأوضح أنه «يتوجب على عباس أن يستعمل كل طاقته وقدرته التي ما زال يتمتع بها لحمل حماس على القبول بالمطالب الدولية».

ولا يقلل ذلك من الأهداف التكتيكية التي تتمحور حول مسائل محددة طبقاً للظروف الملموسة، فعلى سبيل المثال أعلنت حكومة أولمرت أن أهدافها من اجتياح بيت حانون الذي بدأ أول الشهر الماضي، تتراوح ما بين الضغط للإسراع بالإفراج عن الجندي الأسير جلعاد شاليت، وتحسين شروط صفقة التبادل الجاري التفاوض بشأنها، وتبهيت الانتصار الفلسطيني من الصفقة إذا ما نفذت، عبر إعطاء الفلسطينيين درساً لن ينسوه، بجعلهم يدفعون ثمناً باهظاً لعملية الأسر، يدفعهم التفكير مليون مرة، قبل الإقدام على عمليات جديدة، وتنفيس الغضب الشعبي في البلدات الصهيونية الجنوبية التي تعرضت إلى أكثر من ١٥٠٠ صاروخ وقذيفة منذ «الانسحاب الصهيوني» من غزة، وما بين إيقاف إطلاق الصواريخ وتدمير الأنفاق ومنع عمليات تهريب السلاح وقطع الطريق على تنفيذ الأهداف الفلسطينية للاستفادة من تجربة حزب الله، والحصول على أسلحة متقدمة خصوصاً في مجال الصواريخ والقذائف.

وذات النبرة كانت قد نقلت على لسان وزير الحرب الصهيوني الذي استخدم مصطلحات حربية تقرب المعنى الحقيقي للحملة على غزة حيث قال: لن نوافق على تحويل قطاع غزة إلى جنوب لبنان. ولن نقوم بفحص من يطلق الصواريخ، سنقصف الجميع، ولا يهم إلى أي منظمة ينتمون. وأضاف: «إسرائيل لن تسمح بتحوّل القطاع إلى جنوب لبنان ثانٍ».

وهذه التصريحات تؤكد بوضوح المضامين الحربية المبيتة على غزة، إضافة لما كشفته صحيفة «معاريف» في ٢٠٠٦/١/١ عن أن «الجيش الصهيوني أعد خطة تدريبات للقتال في عمق القطاع وذلك بعد أن وصلت لبنان إلى غزة»، على حد زعمه.. بينما كان وزير الحرب بيرتس ورئيس أركانه الجنرال حلوتس قد «صادقا - قبل ذلك- على خطة تشمل تنفيذ عدة عمليات حربية في عدة أماكن مختلفة من القطاع».. وذلك لأنه «يجب أن لا نبقى لا مبالين إزاء ما يجري في غزة.. وحتى لو لم تكن الأمور واضحة إنما يجب العمل -حربياً- على الأقل إلى أن نرى تغييراً داخلياً هناك»، على حد قولهم.

يضاف إلى ذلك ما كان المعلق العسكري الصهيوني المعروف رون بن يشاي قد أكده قبل هذه التطورات عندما وثق في «يديعوت أحرونوت» مؤكداً: «في قيادة المنطقة الجنوبية هناك اليوم خطة متبلورة لعملية عسكرية في غزة قد تشمل إعادة احتلال محور فيلادلفي -صلاح الدين- وحفر قناة عريضة على امتداد الحدود مع مصر وملأها بالماء.. إضافة إلى شن عمليات حربية تكنولوجية متطورة ضد الفلسطينيين».. وأوضح أيضاً: «إن هذه العملية تهدف إلى معالجة ثلاثة أهداف. الأول: وضع حد لتهريب الأسلحة والمتفجرات والمعرفة التكنولوجية التي قد تمكن حماس من أن تعمل بعد ستة أشهر أو سنة في غزة كما عمل حزب الله في لبنان. والثاني: البحث عن والعمل على تحييد معظم الصواريخ المضادة للدروع والمتفجرات التي هربت إلى غزة، إضافة إلى البحث عن الأنفاق التي تستخدم للتهريب. الثالث: وضع حد لقدرة الفلسطينيين على إطلاق الصواريخ باتجاه إسرائيل». وكان المتحدثون في الحكومة الصهيونية قد أجمعوا على إعادة السيطرة على محور فيلادلفي.

## فرض حلول صهيونية

أما الهدف الآخر المبيت من وراء الحملة فهو إخراج قطاع غزة من دائرة الصراع حيث أكدت مصادر صهيونية عدة أن نجاعة العمليات محدودة في منع إطلاق الصواريخ، بل تحقق عكس المرجو منها، إذ أنها لم تمس بشعبية حماس، بل أضعفت الانتقادات على أدائها، وأظهرتها بصورة المقاوم للاحتلال الصهيوني، وأضعفت موقف الرئيس عباس، وأبعدت شبح الحرب الأهلية لدرجة اقتراب المشاورات لتشكيل حكومة وحدة وطنية من النجاح.